تنظيم الرباطات بالمغرب الوسيط:
رباط آسفي نموذجا.

أ. د محمد حقي*

إن موقع المغرب في أقصى غرب البلاد الإسلامية وعلى حدود ما يسمى بأرض الحرب قد جعل منه ثغرا متكامل الخصائص، فهو معرض باستمرار لتهديد قائم متمثل في الخطر المسيحي في شمال البحر للتوسط والذي تزايدت حدته مع تقدم الزمان بارتفاع دور الكنيسة في هذه المناطق وميل القوة العسكرية لصالح دولها خاصة في شبه الجزيرة الإيبيرية، وتهديد محتمل قد يأتي من وراء الرمال الإفريقية، وخطر مجهول قد يحمله بحر الظلمات (المحيط الأطلنتي). وهو مطالب بحماية الحدود القائمة بعين يقظة والعمل على توقيف هذا الخطر واحتوائه بضم أراضيه وإدخال أهله إلى حظيرة الإسلام. ودفع هذا الوضع إلى خلق مجموعة من نقط الحراسة على امتداد السواحل اصطلح على تسميتها بالرباطات أو الربط يرابط فيها المجاهدون باستمرار للحراسة والدفاع، لكنها سرعان ما تحولت إلى أماكن للعبادة يجمع قاطنوها بين جهاد العدو والنفس، ومع مرور الوقت فقد كثير منها الدور الأول لصالح الثاني فصارت مراكز دينية بامتياز.

انتشرت الرباطات على طول السواحل المتوسطية والأطلنتية ابتداء من الإسكندرية وحتى السوس الأقصى (ماسة)، وحظيت السهول الأطلنتية في المغرب الأقصى بنصيب وافر منها بفعل انفتاحها على المحيط مصدر الخطر المجهول على الإسلام ووجود إمارة برغواطة بديانتها الملفقة الخارجة عما هو مقبول إسلاميا إذ أحيطت بشبكة من الرباطات من سلا شمالا وحتى كوز جنوبا (مصب واد تانسيفت). وتحتفظ كثير من المناطق ببعض آثارها التي تشمل أضرحة تحمل أسماء تحيل على الضوء واليقظة مثل سيدي بوالقنادل الذي يوجد في عدة مناطق.

كان رباط آسفي من الرباطات التي أنشئت متأخرة وصادف بناؤه تطور وهيكلة الحركة الصوفية بالمغرب فانعكس ذلك عليه فمال إلى العبادة وصار نقطة إشعاع في البلاد المغربية، بل

---

*أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ-كلية الآداب- جامعة السلطان مولاي سليمان- بني ملال- المغرب.

والإسلامية. وسنعمل على دراسة تاريخ الرباط، بتتبع تاريخه العمراني والديني والاجتماعي والفكري وربطه بعصره؛ عن طريق تفكيك أهم مكوناته. فمن أسسه؟ وما هي خصائصه المعمارية؟ ومن هم نزلاؤه؟ وكيف تنظم الحياة داخله؟ وما هي موارده الاقتصادية؟ وأين وصل إشعاعه؟ وماهي أوجه التشابه بينه وبين الرباط المشرقي الإسلامي والدير المسيحي؟

إن في الإجابة عن هذه الأسئلة عنتا ومشقة نرجو أن نتغلب عليها وألا نكون قد جازفنا بطرقها لسبب وجيه يرتبط بطبيعة البيبليوغرافيا التي نتوفر عليها، فهي نادرة وقليلة ومعلوماتها شحيحة وكلامها مجمل. فإذا استثنينا المؤلف المنقبي الذي تركه حفيد للمؤسس أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح "المنهاج الواضح" الذي يقدم معطيات مفصلة ودقيقة عن الرباط وأهله؛ بالرغم من انحيازه الواضح وميله للتأريخ للأسرة الماجرية وتعداد مفاخرها والدفاع عنها، فإننا لا نجد مصدرا آخر يشفي الغليل ويقدم معلومات مفيدة وحتى إن تكلم أحدهم فعن مؤسس الرباط يتحدث. فمعاصره التادلي صاحب "التشوف إلى رجال التصوف"؛ ووفاء لشرطه في عدم ذكر الأحياء من الأولياء، اكتفى ببعض الإشارات إلى الشيخ، ولم يأت ابن مرزوق وابن قنفذ وابن فرحون إلا بأشياء قليلة، أما ابن الخطيب فوفر لنا أحسن وصف للرباط وصورة عن حياة خلفاء المؤسس عندما مر من هناك. أما الدراسات المعاصرة (العباس بن إبراهيم المراكشي الكتاني- التليدي- الكانوني- الصبيحي- معلمة) فهي عالة على الحفيد. وحتى نتجاوز هذه الإعاقة تتبعنا كل الإشارات والتلميحات؛ مهما كانت صغيرة، التي تضمنتها هذه المصادر، كما اعتمدنا المقارنة لحل بعض النواقص وكشف بعض الخصائص.

1- المؤسس أبو محمد صالح: يرتبط تأسيس رباط آسفي باسم الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن بن غفيان بن الحاج يحي بن يلاخن الدكالي الماجري كما حلاه معاصره التادلي[1]، ولم تشفع له شهرته لتتوفر له ترجمة متكاملة ومفصلة تستعرض مختلف أطوار حياته. وأحسن من كتب عنه حفيده أبو العباس أحمد في كتابه السالف الذكر بالرغم من الطابع المنقبي الذي تحمله معطياته. وكل من ذكره فيما بعد اكتفى بإشارات قليلة اعتمادا على الحفيد أو روايات بعض الفقراء ومنهم ابن مرزوق وابن قنفذ وابن الخطيب وابن فرحون، وهي المصادر التي استغلها القلائل الذين كتبوا عنه من المعاصرين.

عصور الجديدة - العدد 24- 25 صيف - خريف (أكتوبر) 1437-1438هـ/2016م

اختلف حول نسب الشيخ وانقسم الناس إلى تيارين:

تيار ينسبه إلى قريش عن طريق بني أمية (عمر بن عبد العزيز) أو بني مخزوم وهو الاتجاه الذي تبناه فرع بجاية من أسرته (كما يتضح من كتاب "المنهاج")، فالمؤلف يذكر أنه أخذ الخبر من أبيه ومن عمه المتصوف أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي محمد صالح الذي رأى النسب مكتوبا على طرة نسخة من كتاب "التشوف" في ملكية عمه أبي القاسم بن عبد الله بن أبي محمد صالح، ويختم حديثه عن الأصل بعبارة فيها فرح وانتصار قائلا: "فشيخنا رحمه الله قرشي من كل وجه، وعلى كل تقدير"[2].

تيار ثان ينسبه إلى البربر عن طريق هسكورة المصمودية كما يؤكد صاحب المنهاج حين يقول: "التواتر المستفاض في بلاد المغرب فهو من عشيرة بني حي فخذ من أفخاذ بني نصر من قبيل بني ماجر(...) ثم بنو نصر أيضا من عشائر قبائل الهساكرة."[3]

واستعراض موطن عشيرة الشيخ الذي هو امتداد لأراضي قبائل مصمودة وكون النسب البربري للشيخ متواترا عند أهل المغرب ثم اسمه المعروف عند الناس وهو صالح بن ينصارن بن غفيان بن الحاج يحي بن يلاخن الذي يحتوي على أسماء بربرية/أمازيغية أصيلة (ينصارن- غفيان- يلاخن) واسم زوجته "تاكولى" الذي هو أيضا بربري/أمازيغي كل هذه الأشياء تؤكد أن تعريب الأسرة كان حديثا ولا يتعدى زمان الشيخ نفسه. وقد أصبح الآن معروفا أن الأعاجم بصفة عامة والبربر/الأمازيغ بصفة خاصة تعرضوا للتعريب الثقافي ومنه أسماء الأعلام أولا قبل التعريب اللغوي، وأن كل بربري حصل على تعليم مقبول يبحث عن اسم إن لم يكن أصلا عربيا[4]. وبناء على هذه المعطيات يظهر أن الأصل البربري للشيخ مرجح جدا[5].

ولد أبو محمد صالح في آسفي عام 550هـ/ 1155م حيث تلقى تعليمه الأولي، وفي رباط شاكر أخذ عن أبي عبد الله الأمغاري[6]، وانتقل إلى فاس وأخذ عن الشيخ أبي محمد يسكر بن موسى (ت598هـ)[7]. وهاجر إلى الإسكندرية في تاريخ غير محدد ومكث بها عشرين سنة درس خلالها الفقه والحديث والتصوف على يد شيوخ منهم ابن عوف وأبو عمران موسى بن الهارون الماجري وأبو محمد عبد الرزاق الجزولي، وتلقى العلم أيضا بالحجاز والعراق والشام وتونس وبجاية[8] حيث يفترض أنه التقى بأبي مدين الغوث بالرغم من تضارب الروايات واختلافها[9].

عاد الشيخ أبو محمد إلى آسفي بقسط وافر من العلم رشحه للتدريس بتونس في طريق عودته[10]. ولا نملك معلومات حول نشاط علمي له في آسفي وكل ما نتوفر عليه هو مجموع كتبه عام 584هـ/1189م وسماه "تلقين المريدين"[11] يضم:

- المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي
- بداية الهداية لأبي حامد الغزالي
- الرسالة القشيرية بشرحها
- عقيدة الجبراني
- فرائض الصلاة للصقلي

وقد ظل أحفاده يحتفظون به ويعرضونه على من يزورهم خاصة من أهل العلم كما فعلوا مع ابن قنفذ[12].

إن أهم ما عاد به أبو محمد صالح علم التصوف –كما يظهر جليا من مجموعه-، حيث نجح في أخذ عناصر الطريقة عن شيخه أبي محمد عبد الرزاق الجزولي تلميذ أبي مدين، وربما عن أبي مدين نفسه إذا ترجح لقاؤه به في بجاية. وقد حدد حفيده طريقه في التصوف كما يلي:

أبو محمد صالح ⇐ أبو مدين شعيب ⇐ أبو الحسن علي ابن حرزهم ⇐ أبو بكر ابن العربي ⇐ أبو حامد الغزالي ⇐ أبو المعالي إمام الحرمين ⇐ أبو طالب المكي ⇐ عمر بن عبيد الجنيد ⇐ السري بن المغلس السقطي ⇐ معروف الكرخي أبو علي داوود بن نصر الطائي ⇐ أبو حبيب العجمي ⇐ الحسن البصري ⇐ علي بن أبي طالب[13].

وقد نجح في أن يجمع حوله أتباعا صاروا يحملون اسم "الماجريون"[14]، غير أننا لا نعرف ما إذا كان هذا الاسم معروفا في حياة الشيخ أو بعد موته.

كانت طريقة أبي محمد تقوم على التوكل الذي ينبني على عدم السؤال وعدم رد العطية وترك الادخار. وهذا طريق صعب كما شهد بذلك معاصره أبو عبد الله محمد بن ياسين الرجراجي عندما قال لفقهاء سألوه عنه: "رأيت رجلا سلك طريقا قد نبت فيه العوسج في هذا الزمان وما أدري هل يفتح له بشيء أم لا"[15]. ويحكي عن مواقف صعبة أوقعه فيها توكله مثل ترك أسرته

جائعة لمدة إثنا عشر يوما حتى كان أبناؤه يلحسون الرحى من الجوع أو تركها بدون أضحية العيد[16]. وقد نقل هذا المذهب إلى أتباعه كما يؤكد أبو علي عمر بن أبي عمر الصنهاجي عندما قال: "انصرفت من عنده ولي قوة عزم على ملازمة التوكل وسلوك طريقه، فلم أزل أعانيه حتى فتح لي بما هو حظي منه"[17].

وتعرض لنقد شديد ومضايقات كثيرة من معاصريه وصلت إلى حد إجباره على ترك المسجد الذي كان يتعبد فيه ويجتمع به مع أصحابه وبناء رابطته الخاصة. ولم يكن يرد على المعارضين، بل كان يلتزم الصمت والحلم[18].

وفي وسط أتباعه برباطه انتهت حياة أبي محمد صالح في ضحى الخميس الخامس والعشرين من ذي الحجة من عام 631هـ/ 1231م، ودفن هناك[19]، وتحول قبره إلى مزار للفقراء والعلماء والحكام والعامة مثل ابن الخطيب وابن مرزوق وابن قنفذ. وصارت لأبنائه وأحفاده مكانة عند الجميع[20].

وكان لأبي محمد ستا من الولد، وهم عبد الله وأحمد ويحي وعلي من زوجته تاكولي وعبد العزيز وعيسى من خادمتها التي خلفتها بعد موتها[21]، كما كانت له على الأقل بنت زوجها لإمام صلاته عبد النور[22]. وخلفه على رأس الرباط وزعامته ابنه عبد الله(ت651هـ/1252م)، لكن يبدو أن خلافته لم تكن سهلة إذ انقسم الأتباع بين عبد الله البكر المدعوم بالمساكرة وأخيه أحمد، وكانت؛ كما يفهم من نص المنهاج، فتنة شديدة أثارت أحقادا اضطرت بعض أتباع عبد الله بعد تولي أحمد إلى الهجرة إلى بلاد الشام ولم يعد إلى بلده إلا بعد وفاته (ت660هـ/ 1261م)[23]. أما أخوهم عيسى أبو موسى فتولى إمارة آسفي، وبالرغم من ورعه فقد كان شديد السطوة في حكمه مما عرضه لكثرة الشكايات فعزل ونفي إلى فاس حيث توفي (ت698هـ/ 1699م)[24]. واستمرت مكانة الأسرة في القرن الموالي إذ كان زعيم الأسرة مبجلا ومسموعا من أهل الجبال وكل الإقليم المراكشي فوشي به إلى أبي الحسن المريني، لكنه لم يؤذيه أو يتعرض له[25]. ولما زار ابن قنفذ الرباط (عام 763هـ/1362م) وجد زعيم الطائفة أبا العباس أحمد بن يوسف صاحب أوراد يتمتع بكرامات ومكانة عند السلاطين ومشاركة في السياسة[26]. وتحدث ابن الخطيب عن الرخاء الذي يعيش فيه والتقديس والتبجيل اللذان يحظي بهما إذ يجالس السلطان ويقود ركب الحج، لكنه غمز إلى جهله[27].

لم تكن علاقة الأسرة بالحكام دائما حسنة بل شابها بعض العكر منذ أيام الشيخ. فعبد الله سجن بمراكش في حياة أبيه من قبل الموحدين[28]، وسجن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد بمراكش أيضا أربعين يوما ثم سرح[29]، وعزل عيسى عن السلطة وغرب إلى فاس بسبب بطشه وأخطائه كما وضحنا أعلاه.

هذا إذن هو مؤسس الرباط وهؤلاء هم ورثته الذين سيواصلون المسيرة.

2- بناء الرباط ومكوناته المعمارية: في لسان العرب نجد:

الرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا.

والرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو.

وجمع الرباط ربط (جمع الجمع) ورباطات

وفي مجمل اللغة لابن فارس:

الرباط ملازمة ثغر العدو.

ومن التعريفين نستنتج: أرض على حدود عدو وجماعة مقيمة لمنع تقدمه، وفيه تركيز على البعدين المكاني والبشري، فلا رباط بدونهما.

ويظهر ابن مرزوق هذه الصورة في رباطنا عندما يركز على ملازمة السكان للرباط[30].

ويميزه عن الزاوية بقوله: "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصرين"[31]. فالزاوية مؤسسة تقدم المأوى والطعام لعابري السبيل والمحتاج دون شرط ملازمة الإقامة بها. وبذلك يؤدي التقابل بين المؤسستين إلى:

زاوية= طعام + مأوى + ساكنة عابرة

رباط = طعام + مأوى + ملازمة الإقامة

وهذا التعريف يوافق في خصائصه ما بناه أبو محمد صالح.

لما عاد الشيخ إلى آسفي بلده؛ ربما في أواخر ثمانينيات القرن السادس الهجري أو بداية تسعينياته، اتخذ مسجد تامرنوت أو رابطة تامرنوت كما سماها التادلي[32] مكانا لتعبده واجتماع أتباعه لقراءة الأوراد والدعاء[33]. ويظهر أن بعض الناس تضايقوا من عمله ومن تجمع الناس حوله

فتعرض للنقد والمضايقة كما تثبت كرامته التي تقول إن أحدهم عوقب برفعه إلى السقف وإلقائه على الأرض مما تسبب في موته[34]. فاضطر إلى أن يبني رباطه.

بني الرباط خارج سور المدينة أما اليوم فقد صار داخله، لكننا لا نتوفر على تاريخ بنائه. والوصف الوحيد الذي نتوفر عليه هو وصف ابن الخطيب الذي كتبه في عقد الستينيات من القرن الثامن الهجري أي بعد أكثر من قرن ونصف على بنائه[35]، وفيه يقول: "رباط الشيخ (...) فضاؤه رحب مرصوف بحجر الكذان يدور به سقيف نظيف ذو أبواب تفضي إلى زوايا ومدافن، ويطوله عن يمين الوالج مسجد الصلاة وتربة الشيخ عن يمين الداخل إليه، وقد اتخذ له حوض من الخشب من الرفيع أكسبته الأيام دهمه، فتخاله منحوتا من الألوة قد املست من الاستلام حافته، وسوي من نظيف الرمل سبخه، وبإزائه قبور شبيهة به في الشكل لولده وحفدته، تتخللها الحصر النظيفة"[36].

فهذا النص يعطينا صورة عن بناية الرباط ومكوناته المعمارية. لكن الأكيد أن تعديلات كثيرة قد طرأت عليه منذ أن بناه الشيخ لأول مرة. ومن خلاله يتأكد وجود مجموعة من العناصر، أولها المسجد الذي كان له باب يغلق عليه وفيه تقام الصلاة واجتماعات أهل الرباط[37]. وثانيها قبور الشيخ وأبنائه وأحفاده من بعده[38]. وثالثها غرف كثيرة يستقل كل مريد بواحدة أو يشترك مع زميل له فيها كما تدل على ذلك شهادات كثيرة، فقد تحدث للماجري عن مريد كان يحب الكيمياء وكان يخفي أدواته في بيته الخاص قبل أن يكشف الشيخ عن ذلك فاضطر إلى رميها في البحر، وكانت لإسحق إسمح خلوته الخاصة، وتكلم أحدهم عن وجوده في غرفة مظلمة مع مريد آخر في الرباط في ليلة ممطرة، وكانت للشيخ غرفة خاصة في الرباط قبل الانتقال إلى بيته خارجه[39]. وهذه خاصية للربط والزوايا في المغرب فالزاوية الكبرى في سبتة احتوت على غرف كثيرة[40] وكذلك زاوية النساك بسلا[41]. ويظهر أن بناية الرباط كانت بسيطة ومتواضعة[42]، لكن حالها ستتغير بتزايد المداخيل مما دفع إلى تنظيف المكان وتجميله كما وصف ابن الخطيب، وقد تحدث أيضا عن الوليمة التي أقيمت على شرفه فقال: "فجلب خوان بهي اشتمل قوره على كل غضارة أثيرة لا تتخلف عن طعام ولا شراب"[43]. فأنت ترى أن حفيد الشيخ يقدم وليمة ملوكية مشتملة على كل أصناف الأواني والأطعمة والأشربة، فأين هذا من طعام الشيخ وضيوفه الذي يقتصر على جلبان وخبز شعير.[44]

3- أهل الرباط: الأصل والتنظيم: كانت النواة الأولى لنزلاء الرباط مكونة من أبي محمد صالح وأتباعه الذين كانوا يجتمعون به في مسجد تامرنوت ومن يفترض أنهم بناة الرباط وأصحاب السبق فيه. ونفترض أن أغلبهم كانوا من أهل البلد كما سماهم أحد المريدين[45] ومن هسكورة قبيل الشيخ بناء على محدودية تأثيره وقت بناء الرباط وطبيعة العلاقات الاجتماعية المبنية على الأساس القبلي ثم كون الرباط بني في موطن القبيل[46]، دون أن نستبعد وجود عناصر من خارج المجموعة. ولكن الدخول إلى الرباط كان مفتوحا للجميع ولكل من يرغب في ذلك شريطة الخضوع لاختبار الشيخ وتأهيله وفق طريقة حدد ابن قنفذ عناصرها كما يلي: "كان إذا جاءه الفقير عرفه بعيوب نفسه وأمره بالوحدة ودرجه في أوراده حتى يصير من أهل المجاهدة"[47].

كانت أولى خطوات التائب حلق الرأس كما يفهم مما قاله الشيخ لسجلماسي حضر مجلسه: "من أحبنا فعل فعلنا فقام الرجل مسرعا وأخذ بيده، فحلقنا رأسه، وكساه شاشية بيده"[48]، وكان يقول: "أول قدم للمريد في الإرادة حلق الرأس"[49]. وقد تمسك الفقراء بهذه العادة بعده وصارت "سمة تميزت بها طائفة" الشيخ[50].

وتتمثل الخطوة الثانية في لبس الشاشية على يد الشيخ أو أحد المريدين المتقدمين، وقد نال بها الفقراء الفوائد الجمة[51].

وتأتي خطوته الموالية في ارتداء المرقعة التي صارت لباسا لأهل الرباط كما تأكد من حديث التادلي عن أحد الفقراء ذهب لزيارة الشيخ بالرباط "فتلقاه تلامذته وعليهم المرقعات"[52]. وكان الشيخ يلبس مرقعة صوف، ومرقعات أهل الرباط مخططة لكن يجوز أن تكون ملونة[53]. وقد أثارت انتقاد واستنكار الفقهاء والعلماء والعامة[54].

ويتبع ذلك باتخاذ السبحة رمز الطاعة والعبادة ووسيلة التذكر والبعد عن الغفلة، وكانت توضع في العنق، ووصل عدد حبات سبحة أبي محمد صالح إلى ألف حبة[55].

وعلى الفقير أن يتخذ العصا والركوة ولا يفارقهما أبدا[56].

ويلزم كل فقير بطاعة الشيخ طاعة مطلقة وإطلاعه على كل شيء يتعلق به أو يفكر فيه، وحمايته من كل مكروه أو اعتداء[57]، كما أنه ملزم بأداء فريضة الحج التي لم يرخص الشيخ لأحد بتركها[58].

فهذه سمات فقراء رباط آسفي فهم رجال حليقو الرؤوس المغطاة بالشاشيات، والمكسوون بالمرقعات الصوفية المخططة، والمحلاة صدورهم وأعناقهم بالسبحات الضخمة، والمسلحون دائما بالعصي والركاوي، وقد "عظم الله هذه الأمور في نفوس العوام، ومكنها في قلوب الأنام، فمتى عاين أهل الشر والبغي من تزيى بهذا الزي سالموهم في أنفسهم وأموالهم مسالمة وعظموهم"[59].

ويظهر أن الرباط يعرف تراتبية وتميزا بين الفقراء كما يفهم من كلام لأبي موسى بن عاصم الزناتي؛ وهو أحد المنقطعين بالرباط، بمناسبة اقتسام فتوح وصل إلى الرباط في أواخر حياة الشيخ جاء فيه: "تقاسم أهل الرباط الفتوح على طبقاتهم، فاستأثر أهل البلد بجل ذلك عن الغرباء، حتى أخذوا عشرة دنانير لكل واحد والغرباء خمسة دراهم" فاشتكى ذلك للشيخ ولم ينكره[60]. فالنص يتكلم عن وجود طبقات داخل الرباط وأنها قائمة على أساس الموطن (أهل البلد/الغرباء)، لكن مصادرنا لا تعطينا أي فكرة عنها. ويمكن أن نستنتج من هذا ثلاثة أشياء: - المرتبة تتحدد على أساس الانتماء الجغرافي القبلي (آسفي . مصمودة . هسكورة) أولا، بينما المتحدث زناتي غريب أجنبي.

- المرتبة ترتبط بالسبق في الالتحاق بالرباط والانضمام إلى طريقة الشيخ.

- الالتزام بالثواء الدائم بالرباط.

ونعتقد أن هذا الأساس أقرب إلى الواقع بحكم أن أول أتباع الشيخ من أهل البلد، وأن السابقين في كل العالم الإسلامي يحظون بالتفضيل كما فعل عمر بن الخطاب في توزيع عطاء بيت المال وكذلك ابن تومرت في تحديد طبقات الموحدين، وعدم إنكار الشيخ لما حصل يبين أنه من وضعه أو، على الأقل، من أقره.

لكن تراتبية الفقراء هذه لا تمت بصلة إلى مكانتهم في التصوف وطريق القوم إذ نجد خداما وعبيدا بلغوا مراتب عالية كما هو شأن إسحق إسمخ (معناه الأسود أو العبد) "وكان عبدا رقيقا أصفر اللون محقورا في العين" لكنه "من كبراء الفقراء المتعبدين حينئذ في الرباط"[61]. وهو الذي تحدى به الشيخ أحد الأعاجم أراد أن يفخر على أهل الرباط فاخترق إسحق أمامه جدار المسجد ثلاث مرات فخضع الأعجمي وتاب[62]. وكذلك حسن الفخار الذي "لم يترك شيخنا بعده له نظيرا في أفعاله وشديد ورعه غيره" وكان يغيث العطشى في الفلوات[63].

ويعيش داخل الرباط رجال عزاب إما لأنهم لم يتزوجوا أبدا أو مطلقون أو أرامل[64]، أو يأخذون استراحة من الحياة الزوجية بترك زوجاتهم إما خارج الرباط كما هو شأن الشيخ وخليفته عيسى الزناتي اللذين كان لهما بيتان خارج الرباط[65] أو بعيدا عن المدينة[66].

ويظهر أن الأمية كانت غالبة على أهل الرباط كما أكد لغوي زار الرباط وحضر قراءة الفقراء، حيث قال: "حضرت مع الفقراء قراءة السبع، فراعني ما سمعته من لحن ألفاظهم في القراءة، فقلت في نفسي: كيف يتقرب هؤلاء إلى الله تعالى بهذه القراءة" فأقر أبو محمد ذلك وبرره بأن العبرة بسلامة القلب وليس بسلامة اللسان[67]. ونفترض أن لغة التخاطب في الرباط هي أساسا البربرية/الأمازيغية (لسان الرطانة كما يسميها صاحب المنهاج).

ويخضع أهل الرباط لنظام داخلي مضبوط، فهم ملزمون بحضور الصلوات الخمس بالمسجد وقراءة الأوراد والدعاء (الصباح- الضحى- بعد العصر- بين العشاءين) ولا يسمح لأحد بالتخلف، وبعد ذلك ينصرفون إلى غرفهم للاهتمام بشؤونهم الخاصة. وإذا حدث طارئ يتطلب اجتماعهم ينادي مناد داخل الرباط بعبارة "الصلاة جامعة"[68] فيلتحقون بالمسجد أو المكان الذي يحدد للقاء.

قد يتعرض المريد لمهاجرة الشيخ إذا اقترف ذنبا أو فعل شرا يخص مخالفة شرع الله أو أوامر الشيخ أو تقليل الأدب معه، وقد تطول مدتها[69]. وكل فقير يتوب من ذنب ملزم بأن يخرج شيئا من ماله يسميه الفقراء شكرانا[70]. وقد صار من عادة الفقراء المغالاة فيه وإكراه الفقير على أدائه، ويصف الماجري ذلك قائلا: "عاينت فقراء عصرنا متى تاب الفقير واستغفر من ذنب أصابه، وليس له إلا ما يستر به عورته، أو ثياب ضرورته لرفع حره أو برده، ينتزعون ذلك منه قهرا وتباع، ويمد بها سماط ويأكلونه، ويبقى الفقير بينهم عريانا أو؛ ربما، ألجأه إلى أن يسأل، ولم يكن ذلك منه عادة"[71]. ومما كان الفقراء يشترونه في ولائمهم البقر والدقيق والعسل، وكانت أول واحدة من بيع لباس الشيخ أبي محمد وزوجه تاكولى بعد تجردهما[72]. وهذا يدفع إلى استنتاج أن كل شخص تاب ودخل الرباط يتنازل عن ملابسه للفقراء ويعوضها بالمرقعة لباس الجميع الموحد.

لا يظهر أن قانون الرباط يحظر على الفقراء الملكية الخاصة، فكل الشهادات السابقة تؤكد أن من حقهم أن يمتلكوا أشياء كثيرة مثل الثياب والنقود وأدوات العمل والكتب والأفرشة وأشياء أخرى.

ويكتفي أهل الرباط في معيشتهم بأطعمة بسيطة مثل خبز الشعير والقمح والعسل والجلبان واللحم؛ متى توفر، وأشياء بسيطة أخرى[73]، وقد لفتت صعوبة حياتهم انتباه العجمي الذي تحدثنا عنه أعلاه فأحضر لهم أكلا كثيرا.

إن نزلاء الرباط عزاب بالضرورة أو الاختيار، يعانون من الأمية، ويخضعون لتراتبية مبنية على أصلهم الجغرافي والقبلي وسبقهم في الانخراط في صفوف الجماعة ومرتبتهم في سلم التصوف، ويعيشون حياة بسيطة ومعيشة قاسية، ويخضعون لنظام داخلي ينظم حياتهم وعلاقاتهم مع الشيخ وفيما بينهم، وكانوا أحرارا في تملك ما يشاؤون.

4- الحياة اليومية لأهل الرباط: يظهر من تتبع حياة الفقراء في الرباط أنها مكرسة بشكل شبه كامل للعبادة وخاصة الدعاء بمعناه العام حيث لا يفارقونه في حضر ولا سفر إذ من عاداتهم "إجهارهم بالذكر عند خروجهم في الأسفار وعند قدومهم عند قضاء الأوطار" و"يجهرون به غاية الاجهار عند قدوم العمارة أو عند المخاوف في الفيافي والقفار" وكانت العبارة المفضلة كما حددها الشيخ "يا الله يا رحمن يا رحيم"[74]. وأثناء الإقامة كانت لهم أوراد يومية في الصباح وبعد العصر وبين العشاءين لا يفارقونها أبدا، ويجتمعون عليها في المسجد في حياة الشيخ وبعد موته.

ورد ما بين العشاءين (المغرب والعشاء): يتكون من خمسة أذكار هي:

1- لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

2- اللهم صل على سيدنا محمد

3- أستغفر الله إن الله غفور رحيم

4- يا الله يا رحمن يا رحيم

5- الحمد لله رب العالمين

يكررون كل واحدة خمسين مرة بشكل جماعي، حيث ينقسمون إلى قسمين، فيذكر الأول ويرد عليه الثاني، وتقال الثلاث الأولى مفردة بينما الأخريان تكرران من قبل كل مجموعة.

ورد الصباح: يتكون من ثمانية أذكار:

1- سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله

2- سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لنا

3- سبحان الدائم القائم، سبحان الباعث الوارد

4- ربنا اغفر لنا، ربنا تب علينا

5- اللهم صل على محمد وعلى آله

6- أستغفر الله إن الله غفور رحيم

7- يا الله يا رحمن يا رحيم

8- الحمد لله رب العالمين

يؤدونها بنفس طريقة التي قبلها.

ورد بعد صلاة الصبح والعصر: مكون مما يعرف بالسبع، وهي سنة لازمة، وتضم:

1- الفاتحة

2- المعوذتان

3- سورة الاخلاص

4- سورة الكافرون

5- آية الكرسي

6- الباقيات الصالحات

7- الصلاة على النبي

8- والاستغفار للوالدين

9- الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات

10- "اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا، وما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور رحيم"

يقرأون كل جزء سبع مرات وتضاف الشهادتان بقولهم "أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله" يكررونها ألف مرة تحسب بسبحة الشيخ التي يمررها خادمه أمامه. ويختم بالتشهد والبسملة والصلاة على النبي والاستغفار والحوقلة والحمدلة كل ذلك عشر مرات.

وبعد القراءة يدعون برفع الأيدي إلى السماء والمسح على الوجوه وتقبيل يد "الشيخ وكل محترم من الفقراء، قصدا للتبرك بذلك، وتعظيما وتوقيرا للمتوسمين بالديانة هناك". ويختم الماجري كلامه "وعلى ذلك أدركت أهل الرباط"[75].

ويلاحظ أن الأوراد تركز على التوحيد كثيرا وليس على الصلاة على النبي كما هو شأن الطرق اللاحقة مثل الجزولية، وربما كان اهتمام الموحدين بالتوحيد وراء هذا الاختيار، وقد لاحظنا هذا الميل أيضا في كتاب "المنهاج".

وبعد العصر كانوا يقرأون الحزب، لكننا لا ندري هل يقصد به السبع التي رأيناها أعلاه أم حزب القرآن الذي سنه ابن تومرت[76] بعد صلاتي الصبح والمغرب والذي ما يزال أهل المغرب يعملون به إلى اليوم؟

وسن الشيخ أيضا صلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها إثنا عشر ركعة يداومون عليها[77]. وكان الصيام من الوظائف التي يحافظ عليها الفقراء ويتنافسون فيها، وقد بلغ وصال الشيخ أربعين يوما وتفوق عليه ابنه أحمد في ذلك[78].

كما يلاحظ فمعظم وقت الفقراء مشغول بالذكر والصلاة والصيام، فلا يتحرر المريد إلا ما بين الضحى والظهر وما بين العشاء والفجر. وحتى هذه الأوقات فلا تسلم من الجهد إذا اختار الصيام والقيام. لذلك لا يقومون بأعمال أخرى عدا بعض الأمور البسيطة مثل رتق ثوب أو تنظيفه أو قراءة قليلة.

إن انشغال الفقراء بالعبادة يفرض وجود أشخاص آخرين يقومون بشؤون الرباط من إعداد طعام أو بحث عنه عند قلته أو حتى انعدامه. وهنا يأتي دور الخدام الذين وجدوا في الرباط لخدمة الفقراء. فقد كان للشيخ خديم يدعى عيسى الزناتي كان يحمل السبحة عند الذكر ويقدم خدمات أخرى، كما خدمه أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي لمدة أربع سنوات على صفة محرم[79]. وكان للفقراء خديم يعد لهم الطعام ورد ذكره عند الحديث عن الأعجمي الذي ازدرى

الفقراء وقدم لهم سماطا[80]. وكان أبو خليفة الهسكوري السايوي خديما للرباط يقطع الحطب ويخدم البساتين لمدة مائة وثلاثين سنة[81].

هؤلاء الخدم على قلتهم من يوفرون الشروط الملائمة لتعبد الفقراء، وقد تثبت قلتهم قلة عدد الملازمين للرباط.

5- موارد الرباط ومجال تأثيره: اعتمد أهل الرباط طريق التوكل في حياتهم وهو نوع من التسول دون سؤال، أي ترك الرزق يأتي لوحده بدعم الخالق، مما يجعل حياتهم ومواردهم رهينة بجود من يعرف حالهم ويطلع عليها ويعتقد في طريقهم. ويوضح أبو محمد ذلك عندما يصرح: "مكثت في هذه البلدة، يعني بلد آسفي المحروسة، مدة من أربعين سنة ما بعت فيها ولا اشتريت ولا طلبت شيئا ولا تداينت، ولم يفتح لي من أهلها بشيء، وإنما كان يفتح لي من غيرها، حتى كانت كسوتي تأتيني من أرض الشام"[82]. وواضح من هذا الكلام أن الشيخ ومن خلفه أتباعه لا يتسببون ولا يبحثون عن رزق سواء بالتجارة أو المداينة أو حتى بالسؤال. وقد عرف عنه ذلك منذ بداية عهده بالطريق، فهو يحكي أنه بقي وأسرته مدة اثني عشر يوما دون أن يفتح لهم بشيء، فاشتد بهم الحال حتى كان الأولاد يلحسون الرحى من شدة الجوع، وكاد يضعف ويخرج للتسبب، لكنه تراجع اعتقادا في ربه، فجاءه أحدهم بحمل دقيق ووعاء سمن فرجت به كربته[83]. وحكى أيضا أنه خرج مع رفاق له قبيل عيد أضحى للتسبب، ولما وصلوا إلى مكان العمل اختار التعبد في مسجد، وعاد أصحابه بأشياء لأهاليهم أما هو فعاد خاوي الوفاض، فخجل من الدخول عليهم وذهب إلى ساحل البحر في انتظار الليل، فلما دخل عليهم وجد عندهم ملابس جديدة وطعاما وأضحية، وحتى السكين التي يذبح بها أضحيته لم يشترها وإنما وجدها لما احتاجها على ساحل البحر فصارت تتوارث وتتبادل لذبح الأضحيات[84].

كانت أغلب موارد الرباط من الفتوح (الهدايا) التي يقدمها أشخاص يعتقدون في الشيخ؛ ومنها أحمال من القمح من بعض المتعبدين[85]، ومائتا دينار زكاة دكالي[86]، ومائة دينار من بعض أبناء الدنيا وخمسمائة أخرى في نفس اليوم[87]، أو من المريدين الذين يزورون الرباط ويحملون معهم بعض الفتوح، وقد احتفظ "المنهاج "ببعض النماذج ومنها أن أبا علي محمد بن أبي تاليت الهسكوري من جبل دمنات زار الشيخ ومعه فتوح لأهل الرباط[88]، وتحدث أبو يعقوب يوسف بن

أبي بكر الصنهاجي بتجرماط عنها فقال: "زرت الشيخ مرة وحملت معي فتوحا، فتوسعت به على أهله وخدامه وفقراء الرباط"[89]، وكذلك يوسف الحرار من تارودانت: "كنت إذا وردت على الفقراء بالرباط في حياة الشيخ رحمه الله، ومعي فتوح أطرحه في بيت"[90]. وكان الشيخ يتوصل بلباسه من الشام كما صرح في النص أعلاه.

ويبدو أن هذه الموارد قد تضاعفت وكثرت في حياة وزمان الشيخ حتى صار بإمكان الرباط أن يستقبل زوارا يزيدون عن المائتين ويوفر الطعام للرجال والعلف للدواب[91]، كما تحدث أبو موسى بن عاصم الزناتي عن تقسيم فتوح بين نزلاء الرباط في أواخر حياة الشيخ فحصل أهل البلد على عشرة دنانير والغرباء على خمسة دراهم[92]، وربما يكشف هذا عن الحجم الكبير للمال، فلو افترضنا أن عدد الفقراء أربعون منهم ثلاثون من أهل البلد وعشرة من الغرباء لكان قدر المال ما يفوق الأربعمائة دينار (تقريبا كيلوغرامين من الذهب)، وهذا فتوح واحد فقط فما بالك بباقي الفتوح، إن هذا قد يوحي بضخامة حجم موارد الرباط منذ هذا الوقت المبكر. وقد تأثرت حالة الشيخ بدوره فصارت له دار خارج الرباط وأصبح يقدم في بيته الكعك للدور والمستطيل[93]. أما بعده فقد صار أهل الرباط وخاصة الخدمة يعيشون عيشة رغيدة كما وصفها ابن الخطيب في النص الوارد أعلاه.

كما يظهر من مصدر موارد الرباط فلم يقتصر مجال تأثيره على بناية الرباط، بل صار له أتباع في كل وسط للمغرب من المحيط الأطلنتي وحتى منطقة دادس بدرعة، وهذا المجال يوافق مواطن هسكورة قبيل الشيخ، وقد يكون هذا العنصر عاملا أساسيا في انتشار نفوذ الرباط في هذه المناطق. ومن المناطق التي ذكرت دمنات وتجرماض في بلاد صنهاجة ووادي دادس[94]. ووصل التأثير إلى المناطق المجاورة للمجال الهسكوري وهي دكالة في الشمال[95]، وفي الجنوب الحوز حيث أغمات وأرض مسكيسة من وادي نفيس[96]، وتمدلين بأرض جلاوة (تلوات) وتادولا وتماسينت ببلاد أيت واوزكيت بوادي ورزازات[97] ودرعة[98] وسوس حيث تارودانت[99] وفي الشرق سجلماسة[100].

وخارج حدود المغرب الأقصى وصل التأثير إلى جبال زواوة شرقي المغرب الأوسط[101]، وبجاية[102]، ومصر، والشام[103].

وكان للرباط ممثلون في كل المناطق يسمون الواحد منهم "مقدم الحجاج"، وقد اعتبر بعض الباحثين أن ذلك يدل على وجود رابطات تابعة للرباط الأم، لكن ما يظهر من كلام صاحب "المنهاج" عند حديثه عن مكان نزول خلفاء أبي محمد صالح وخاصة أبا العباس أحمد والذي حدده في دور المقدمين الخاصة وبساتينهم بسجلماسة وبلاد جلاوة وتمللين وتادولا[104] لا يؤكد وجود رباطات. ويتأكد ما رجحناه عندما نجده يذكر دون إهمال وجود رباط في مصر والشام[105].

وكان شيوخ الرباط يزورون مناطق النفوذ التابعة للرباط قصدا أو في طريقهم للحج، فقد حفظ عن أبي محمد صالح أنه زار مع فقرائه أحد مريديه بدكالة[106]، أما أبو العباس أحمد فزار تمللين ببلاد جلاوة وبلاد صنهاجة وسجلماسة والتقى الأتباع وقضى لهم بعض المآرب[107]. كما أن الرباط يتلقى الزوار في حياة الشيخ وبعد مماته من دمنات وسجلماسة وتارودانت ومن مناطق أخرى[108].

في الأخير نقول إن الرباط اعتمد على الهبات وتبرعات الأتباع بالدرجة الأولى، ولم تكن له استثمارات اللهم إذا اعتبرنا إشارة خديم الرباط بأنه يشتغل بالبساتين دليلا على تملك الرباط لأرض يستغلها مباشرة. وقد تضخمت هذه المداخيل في حياة الشيخ وزادت أكثر في عهد خلفائه الذين عاشوا حياة رغدة. ونجح تأثير الرباط في غزو المجال الهسكوري من المحيط إلى درعة كما تدفق على جوانبه شمالا وجنوبا وشرقا ووصل إشعاعه حتى المغرب الأوسط ومصر والشام.

6- في الختام: مقارنة عابرة ومعبرة: إن رباط آسفي؛ كما أكد ابن مرزوق، كان مشرقي النمط في بنائه وتنظيمه، ويظهر ذلك أن الشيخ تعرف على الربط هناك وأعجب بها وبنظامها، ولما عاد قلدها. ويؤكد ذلك وصف معاصره ابن بطوطة لخانقاه القاهرة إذ يقول إن كل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء، ولكل واحدة شيخ وحارس، ويقدم الخادم لكل فقير الطعام الذي يشتهيه بعد استشارته في إناء فردي مرتين في اليوم لكنه يأكل مجتمعا مع رفاقه، ولكل فقير كسوة الشتاء والصيف وراتب شهري وسكر وصابون وأجرة الحمام، وكل النزلاء عزاب يلزمون بالمبيت بالزاوية وحضور الصلوات الخمس والورد بقبة بالزاوية بعد الصبح والعصر والجمعة[109]. فالتشابه قائم بين رباط آسفي وخانقاه القاهرة خاصة في تفرغ النزلاء التام للعبادة، والفرق يظهر في كثرة أوراد فقراء الأول وشدة التنظيم والغنى في الثاني.

وإذا قارنا الرباط بالأديرة المسيحية، نجد أنه يقترب مما خلقه الديريون الأوائل خلال القرن 4م وعلى رأسهم باخوم في مصر وباسيل في الأناضول في كثرة العبادة وطاعة رئيس الدير العمياء، لكنه يبتعد فيما يتعلق بممارسة العمل اليدوي؛ الذي قدسه الرهبان، وغياب الممتلكات الشخصية[110]. أما إذا انتقلنا إلى البنيدكتية التي ستنتشر في كل أوربا الغربية منذ القرن السادس الميلادي، فقد نصت على التزام الراهب بحياة الدير حتى الموت والانضباط التام والتعبد ثماني مرات في اليوم والتخلي عن كل الممتلكات واشتراك أهل الدير في كل ما يوجد به عدا اللباس والعمل في الحقول والمشغل والمطبخ (7ساعات)[111]: ويلاحظ أن حياة الراهب مقسمة بين العملين الأخروي والدنيوي، فهو يتعبد لكنه ينتج مواد فلاحية وأدوات صناعية ويقرأ وينسخ، مما يجعله منتجا ولا يبقى عالة على المجتمع، وقد تحولت الأديرة في فترة الاجتياح الجرماني إلى ملاجئ للحضارة الرومانية ومراكز إنتاج متقدمة تقدم الطعام للفلاحين ولا تأخذه منهم. وعكس البنيديكتي فالماجري (أقصد الفقير في الرباط) يخصص جل وقته للعبادة (صلاة- دعاء- صوم- قيام) ويعتمد على الخدام لخدمته والصدقات والهبات لمعيشته كما يبقى مرتبطا بالدنيا بقوة بحرصه على تكوين ممتلكات والصراع للفوز بأكبر قدر من الفتوح[112]. وهذا جعل الرباط كائنا طفيليا يعيش على كد المنتجين من الفلاحين والرعاة والتجار والصناع، وحتى من الناحية العلمية فلم يشتهر عن الرباط اهتمام كبير به لا في عهد الشيخ ولا في عهد ورثته. ويحفظ له الدور الروحي الذي قام به لتوفير دعامة نفسية للمريدين وكبح جماح بعض الفجار والفسقة والتحريض على طريق الخير مما يحفظ للمجتمع جزءا من إطاراته الأخلاقية.

خاتمة: قام رباط آسفي في منطقة ثغرية لكنه لم يقم بوظيفة الدفاع عن الحدود، ومثل المرحلة الثالثة من عمر الرباطات حين صارت تقتصر على العبادة، أو لنقل إنه نموذج لرباطات المدن الآمنة. وقد نجح المؤسس في نقل تجربة المشرق في الميدان وطبعها بطابعه المميز خاصة في ميدان العبادة. واستقطب أتباعا من قاعدة قبلية أساسها قبيلته هسكورة الكبيرة بأفرادها ومجالها الجغرافي إضافة إلى جيرانها في الشمال والجنوب والشرق. وأخضع الرباط لتنظيم قوي في كل الأمور على صعيدي العبادة والمعيشة، مما جعل منه صورة أولية للزاوية التي ستتطور في فترات لاحقة، والحقيقة أن الاختلاف بينهما لم يكن إلا في أشياء بسيطة أهمها تملك العقارات والممتلكات. ويؤخذ على هذه المؤسسة تركيزها على العبادة دون العمل

الدنيوي المفيد للخلق كما هو متعارف عليه في أديرة الغرب، لكنها لم تخرج عما هو متعارف عليه في التصوف الشرقي عامة.

الهوامش:

1- التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1997، ص.43.

2- المنهاج الواضح، الماجري أبو العباس أحمد بن إبراهيم، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص.106-107.---3- نفسه، ص.107.---4- انظر كتابنا "الربو في الأندلس"، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2001، ص.129-138. ---5- أكده عبد السلام السعيدي، صالح أبو محمد، معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا، 2002، ص.5474. ---6- نفسه. ---7- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965، ص.23. ---8- السعيدي، المرجع السابق، ص.5474. ---9- الماجري، المصدر السابق، ص.63 وأنس الفقير، ص.63.---10- السعيدي، المرجع السابق، ص.5474.---11- نفسه.---12- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.63.---13- الماجري؛ المصدر السابق، ص.118-119. 14- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.64. ---15- الماجري، المصدر السابق، ص.241. 16- نفسه، ص.224-225. ---17- نفسه، ص.241.---18- الطبدي، عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، 2003، ص.109-111.---19- نفسه، ص.107. ---20- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.62 وابن مرزوق، ص.252.---21- الماجري، المصدر السابق، ص.115. ---22- نفسه، ص.260. ---23- نفسه، ص.112.- 24- نفسه، ص.115-116. ---25- ابن مرزوق، المسند الصحيح، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص.252.---26- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.61-62. 27- ابن الخطيب لسان الدين، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب و الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983، ص.145. ---28- العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام، إخراج عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ج8، ص.215. ---29- نفسه، ج1، ص.167 والماجري، المصدر السابق، ص.234.---30- المسند، ص.413. يقول: "أما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدي أبي محمد صالح والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكرياء يحي بن عمر (نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم". ---31- المسند، ص.413. ---32- التادلي، المصدر السابق، ص.433.. ---33- الماجري، المصدر السابق، ص.237. ---34- نفسه، ص.111. ---35- محمد بن الحاج، رباط أبي محمد صالح، معلمة المغرب، ج4، ص.4255.---36- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص.147. ---37- الماجري، المصدر السابق ج، ص.238 و 282. ---38- نفسه، ص.233. ---39- نفسه، ص.251 و 271 و282 و433. 40- ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، ص.32.---41- محمد حجي، الزاوية، معلمة المغرب، ج14، ص.4602. ---42- الماجري، المصدر السابق، ص.282، زار أعجمي الرباط فازدرى أهله وسارع إلى إطعامهم فلم يعجب ذلك الشيخ. ---43- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص.147. ---44- الماجري، المصدر السابق، ص.238.45- نفسه، ص.232. 46- كان للشيخ ابن أخ يسمى أبا محمد محمد بن عبد الواسع بن سالم بن ينصارن متصوف زاهد جاب بلاد الشام بحثا عن الصالحين، نفسه، ص.234. ---47- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.61. -48- الماجري، المصدر السابق، ص.143---49- نفسه، ص.145. ---50- نفسه، ص.142-143. ---51- نفسه، ص.147. ---52- التادلي، المصدر السابق، ص.439.---53- الماجري، المصدر السابق، ص.131. ---54- نفسه، ص.133.---55- نفسه، ص.127 140 و165. ---56- نفسه، ص.127.---57- جاء مريد مرة إلى الرباط فحاول الاقتراب من الشيخ وتقبيله، فانقض عليه الفقراء وكادوا يقتلونه لولا حماية الشيخ، نفسه، ص.238-239 و266.---58- نفسه، ص.238 239 و285.---59- نفسه.---60- نفسه، ص.232-233.---61- نفسه، ص.282 و280. ---62- نفسه، ص.282. ---63- نفسه، ص.281. ---64- نفسه، ص.113.--- 65- نفسه، ص.238 و223. ---66- نفسه، ص.259.---67- نفسه، ص.270 271. ---68- نفسه، ص.252.---69- نفسه، ص.206 207. ---70- نفسه، ص.207 و 205.---71- نفسه، ص.206. ---72- نفسه،

ص.200 201.---73- نفسه، ص.201 و238 و 258. ---74- نفسه، ص.159 و 149.---75- نفسه، ص. 160. 161 و164 و 165. 166 و 170. ---76- كتب صاحب "الحلل الموشية" متكلما عن ابن تومرت وأصحابه: "ألف لهم كتابا سماه "التوحيد" باللسان البربري، وهو سبعة أحزاب، عدد أيام الجمعة، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم إثر صلاة الصبح، بعد الفراغ من حزب القرآن" تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد، البيضاء، 1979، ص.109-110. ---77- الماجري، المصدر السابق، ص. 171. 172. ---78- نفسه، ص. 173 و 176 . 177 و114. ---79- نفسه، ص.238 و 62. ---80- نفسه، ص. 282. ---81- نفسه، ص. 257.---82- نفسه ، ص.245. ---83- نفسه، ص.224- 225. ---84- نفسه، ص.226. ---85- نفسه، ص.252. ---86- نفسه، ص.262. ---87- نفسه، ص.269- 270. ---88- نفسه، ص.258.---89- نفسه، ص.259. ---90- نفسه، ص.251-252. ---91- نفسه، ص.262 و 269. ---92- نفسه، ص.232. ---93- نفسه، ص.266. ---94- نفسه، ص.110- 112 و252 و 265. ---95- نفسه، ص.264. ---96- نفسه، ص.112 و 114 ، وقد تزوج أبو العباس أحمد بن الشيخ من أغمات.97- نفسه، ، ص.111. ---98- نفسه، ص. 265. ---99- نفسه، ص.251. ---100- نفسه، ص.110.---101- نفسه، ص.262. ---102- نفسه، ص.257. ---103- نفسه، ص.284- 285. ---104- نفسه، ص.110- 112. ---105- نفسه، ص.284- 285. ---106- نفسه، ص.273. ---107- نفسه، ص.110-111 و 264. ---108- نفسه، ص.240 و 262 و 269.---109- ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق عبد الهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ج2، ص.204. ---110- العربي السيد الباز، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1968، ص.167- 168 وعاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص.130- 131. 111- نفسه، ص169، ونفسه، 135- 138.---112- الماجري، المصدر السابق، ص.232 و251- 252.

Summary: This article examines the Ribat (monastery) of Safi on the Atlantic coast of Morocco which is part of the religious history of this country.The Ribat is founded by Abu Mohamed Saleh al-Magiri one of the great figures of Moroccan Sufism in the Almohad era. The ribat built on the Eastern model, successful; in no time, to radiate the masmoudi territory, the Draa and the Sous region, namely along the pilgrimage routes which was one of the essential foundations of the doctrine of the founder. The Ribat hosted unmarried male followers who were planting a rigorous organization imposing complete silence and prayer almost all the time by letting live on donations and alms which differentiates him from his contemporaries in Western Europe where members reserve a part of their time for manual labor.